مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

بمناسبة انتهاء شهر رمضان

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بمناسبة انتهاء شهر رمضان[1]

الحمد لله الواحد القهار، حكم بالفناء على هذه الدَّار، وبالبقاء في دار القرار: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤]، وأشهد أن لا إله إلَّا الله العزيز الغفار، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أمَّا بعد:

فأيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، وتفكَّروا في أحوالكم وسرعة زوالكم، بالأمس القريب كان المسلمون ينتظرون دخول شهر رمضان المبارك انتظار قدوم الضيف الغالي، والوافد الكريم، طمعًا فيما أعده الله فيه من الخيرات، ورغبة في التنافس في الطَّاعات، فهو موسم تعرض فيه أغلى السِّلع بأرخص الأسعار، تعرض فيه الجنَّة الغالية، حيث تفتح أبوابها، وتيسر أسبابها، تعرض فيه المرابح العظيمة، بحيث يعدل فيه ثواب السنَّة ثواب الفريضة، وثواب الفريضة ثواب سبعين فريضة فيما سواه.

موسم تسدُّ فيه طرق الهلاك، فتغلق فيه أبواب النيران، ويُصفَّد فيه كلِّ شيطان، تُهجر فيه المحرمات، ويسهل فيه فعل الطَّاعات، موسم يغلب فيه سلطان الصَّبر، على سلطان الهوى والجزع، يغلب فيه صفة الكرم والجود على صفة الشُّح والبخل، يغلب فيه العقل والحكمة، على الطيش والسَّفه «**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ**»[2] موسم كلّ وقته عظيم مبارك، فنهاره صيام، وليله قيام، أوَّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النَّار، موسم يتغلَّب فيه المسلم على نزعات النَّفس ونزعات الشَّيطان، فلئن كان الإنسان أسيرًا للنَّفس والشيَّطان قبل حلول هذا الشَّهر بحيث كان يصعب عليه ترك ما اعتاده من المعاصي بحكم ضعف النَّفس وقلَّة الإيمان، وبحكم مخالطة الأشرار، فإنَّ شهر رمضان المبارك يخلِّصه من هذا الأسر وينقله من المجتمع الفاسد إلى المجتمع الصَّالح، فلا يرى من حوله إلَّا من هو صائم قائم.

فرمضان في الحقيقة مدرسة يتلقى فيها المسلم دروس الخير المتنوعة، ويتعود فيها الابتعاد عن الشَّر وأسبابه، فما ينتهي رمضان إلَّا والمؤمن قد أَلِفَ الخير ونفر عن الشر، مما يكون سببًا لاستمراره على الاستقامة بقيَّة السَّنة فمثلًا الَّذي كان يتكاسل عن الصَّلاة مع الجماعة، ولما حلَّ عليه شهر رمضان التزم

---

(١) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للمؤلف(١/ ٣٠٨ .. ٣١٠).

(٢) سبق تخريجه.

الصَّلاة مع الجماعة، وأدرك خطأه فيما مضى، وصحح خطته في المستقبل، المدخن الَّذي فتك به تناول الدُّخان وأضر بصحته، وهو يستصعب تركه، لما حلَّ عليه شهر رمضان المبارك خلَّصه من أسر هذا الخبيث الضَّار، ودربَّه على تركه، فأصبح من السَّهل عليه مقاطعته نهائيًا، وهكذا بقيَّة العادات السَّيئة.

وإذا كانت الحكومات تضع دورات تدريبية للعاملين فيها ليتمرَّنوا على مختلف الأعمال، فإنَّ شهر رمضان يعدُّ من أعظم الدَّورات التدريبيَّة على فعل الخيرات وترك المنكرات.

أيُّها المسلمون: بالأمس القريب كنا نترقب حلول هذا الشَّهر المبارك، واليوم بكل مرارة وأسى ننتظر انتقاله ونهايته، كما هي سنَّة الله في خلقه، أنَّ لكلِّ مقيم في هذه الدُّنيا ارتحالًا، ولكلِّ موجود زوالًا، فلننظر في واقعنا مع أنفسنا، ونوازن بين حالتنا قبل دخول هذا الشَّهر، وحالتنا الحاضرة، هل صلحت أعمالنا؟ هل تحسنت أخلاقنا؟ هل استقام سلوكنا؟ هل لانت قلوبنا؟ هل زادت رغبتنا في الخير، وكراهتنا للشَّر؟ إن كنَّا كذلك، فقد استفدنا من رمضان فلنحمد الله على هذه النِّعمة، ولنحافظ عليها في بقيَّة الأشهر، ولا نفرِّط فيها فنكون: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[النحل: ٩٢] ومن لم يدرك من نفسه هذا الشُّعور بالخير عند نهاية شهر رمضان، فليعلم أنَّه لم يستفد منه، وأنَّه لا يزال في غيه.

ولكن لا ييأس من رحمة الله؛ بل عليه أن يتوب إلى الله، فإن الله يتوب على من تاب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الشورى: ٢٥] وليحسن الختام، فإنَّ الأعمال بالخواتيم.

عبادَ الله، لئن انقضى شهر رمضان المبارك، فإن عمل المؤمن لا ينقضي إلَّا بالموت: «**وَمَن كَانَ يَعْبد الله فَإِنَّ الله حَيٌّ لَا يَمُوت**» ومن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها.

عبادَ الله، إنَّ الله شرع لكم في ختام هذا الشَّهر المبارك أعمالًا مكملة له زيادة لكم في الخير، فشرع لكم: «صَدَقَة الفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِن اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ»(٣) وشكرًا لله على توفيقه، وهي زكاة عن البدن، يجب إخراجها: «عَن الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالحُرِّ وَالعَبْدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(٤) ويستحب إخراجها عن الحمل في البطن.

---

(٣)جاء ذلك في حديث ابن عباس أخرجه أبو داود برقم(١٦١١)، وابن ماجه (١٨٢٧).

(٤) جاء ما يدل على هذا المعنى حديث ابن عمر أخرجه البخاري برقم(١٥٠٣).

يجب إخراجها على كلِّ مسلم غربت عليه الشَّمس ليلة العيد، وهو يملك ما يزيد عن قوت يومه وليله، ويجب عليه أن يخرج عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته من زوجته ووالديه وأولاده، وإن تبرع بنفقة شخص في شهر رمضان استحب له أن يفطر عنه.

ويخرج زكاة الفطر في البلد الَّذي وافاه تمام الشَّهر وهو فيه، ويخرج من يلزمه الإخراج عنهم مع زكاة نفسه، وإن وكَّلهم أن يخرجوا عنه، وعنهم في بلدهم أو وكَّل غيرهم جاز ذلك، وتدفع زكاة الفطر إلى من يجوز دفع زكاة المال إليه كالفقراء والمساكين، فيدفعها إلى المستحق أو إلى وكيل المستحق.

وأمَّا ما يفعله بعض النَّاس من إيداع زكاة الفطر حتَّى يأتي المستحق ويأخذها من المودع وهو غير وكيل له، فهذا لا يجوز ولا يعتبر إخراجًا لها في وقتها؛ لأنَّه لا بدَّ من وصولها إلى المستحق أو إلى وكيله في وقت الإخراج، ووقت الإخراج يبدأ بغروب الشَّمس ليلة العيد، والأفضل ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد، وإن أخرجها قبل العيد بيوم أو يومين جاز، وإن أخرها عن صلاة العيد أَثِمَ وأجزأت، وإن فات يوم العيد ولم يخرجها، فإنَّه يقضيها ولا تسقط عنه، ومقدار صدقة الفطر: «صَاع مِن بُرٍّ، أَوْ صَاع مِن شَعِيرٍ، أَوْ صَاع مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاع مِن أَقِطٍ، أَوْ صَاع مِنْ زَبِيبٍ»(٥) هذه الخمسة الَّتي ورد بها النَّص، ويجزئ بدلها ما يغلب استعمال النَّاس له قوتًا في البلد كالأرز، والذرة، والدُّخن، ولا يجوز إخراج القيمة بأن يدفع دراهم بدل الإطعام، وإن أفتى به بعض النَّاس؛ لأنَّه خلاف النَّص، ويجوز للفقير إذا قبض صدقة الفطر أن يخرجها عن نفسه.

أيُّها المسلمون: ومما شرعه الله لكم في ختام الشَّهر: التَّكبير، قال تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾[البقرة: ١٨٥] فيسن التَّكبير ليلة العيد، والجهر به في المساجد والبيوت والأسواق تعظيمًا لله، وشكرًا له على تمام النِّعمة.

---

(٥) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (١٥٠٦) ومسلم (٩٨٥).

ومما شرعه الله لكم في ختام هذا الشَّهر المبارك: صلاة العيد، وهي فرض كفاية، وهي من تمام ذكر الله، قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٥]، قال بعض السَّلف، أي: أدَّى زكاة الفطر، ﴿ فَصَلَّىٰ ﴾ قيل: المراد صلاة العيد(٦).

أيُّها المسلمون: ودعوا شهركم بالاستغفار، والتوبة، وكثرة الدعاء لعلكم تكتبون من العتقاء من النَّار أعوذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ثم اعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديِّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٦]، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد، وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثْمَّانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابِعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشِّرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدِّين، واجعل هذا البلد آمنًا مُطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين عامَّةً يا ربَّ العالمين، اللَّهُمَّ من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه، واردد كيده في نحره، واجعل تدميره في تدبيره، إنَّك على كلِّ شيء قدير.

اللَّهُمَّ إنَّ أعداء الدِّين من الكفرة والمنافقين استطالوا على عبادك، وطغوا، وبغوا، وساموا عبادك المؤمنين سوء العذاب، شرَّدوهم من ديَّارهم، قتلوهم في بيوتهم، دمرَّوا اقتصادهم، كلُّ ذلك من الكيدِ للإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ وأنت العزيز الجبار المنتقم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ إنَّهم طغوا وبغوا، وأنت على كل شيء قدير.

---

(٦) نقل ذلك الشوكاني في تفسير قول الله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ٢] (٥/ ٧١٦).

اللَّهُمَّ لا تسلطهم علينا بذنوبنا، اللَّهُمَّ اكفنا شرهم، اللَّهُمَّ أضعف قوتهم، اللَّهُمَّ فرق جماعتهم، اللَّهُمَّ شتت شملهم، اللَّهُمَّ خالف بين قلوبهم، اللَّهُمَّ سلط بعضهم على بعض، واكفنا شرهم، وكف عنَّا كيدهم، إنَّك على كلِّ شيء قدير.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وولاة أمور المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السوء والمفسدين، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[النحل:٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥].



